

اجتهادات قراءة نص فكري

عندما شرعتُ، في وقتٍ مبكرٍ من حياتي، في الاهتمام
بالأفكار وقراءة نصوص فكرية بدءًا بأعمالٍ ماركسية
استهوتني في تلك المرحلة، لم أكن على درايةٍ كافيةٍ
بمتطلبات هذه القراءة لكي تكون مفيدة.

لم أعلم في ذلك الوقت أن قراءة نصوصٍ فكريةٍ مترجمةٍ
تتطلب التأكد من سلامة الترجمة، وهو ما تناولتُ بعض
متطلباته في اجتهاد الأمس. ولكن لقراءة النص الفكري
عمومًا متطلباتٌ أخرى أهمها الانتباه إلى دلالات المرحلة
التي كُتب فيها، والظروف التي أحاطت كتابته، والبيئة
التي عاش فيها كاتبه. فالسياق العام للنص الفكري لا يقل
أهميةً عن محتواه. وهذا هو ما أدى في مطلع القرن
الماضي إلى ظهور علم اجتماع المعرفة، الذي يعنى
بدراسة العلاقة بين الفكر والسياق الاجتماعي، والبحث
في الجوانب الاجتماعية للمعرفة بوجه عام. النص

الفكرى ليس مقالاً يعبرُ فيه كاتبه عن رأى، أو يطرح فكرةً بسيطة. ولهذا يتعين السعى إلى فهم أبعاد رؤية الكاتب ومقاصده الظاهرة والمخبوءة. وتكون القراءة أكثر فائدةً حين أنحى جانباً أى مواقف سابقة طُبعت فى ذهنى من قبل عن النص أو كاتبه. فمهم جداً أن يُقرأ النص بعقلٍ مفتوح، وليس مغلقاً على ما كان فيه من قبل. فالقراءة بعقلٍ غير مفتوح قد تقودُ إلى اجترار أفكار، أو نزع عبارات من سياقها. وإذا استرعت انتباهى كلمة أو عبارة لا تروق لى، يُحسنُ ألا أقف أمامها طويلاً، لكى لا أقع فى فخ عزلها عن سياقها، وتحميلها ما لا تتحمله، أو استنتاج ما لم يُقصد منها. فكل كلمة أو عبارة تُقرأ فى السياق، لأن نزعها منه يؤدى إلى اختلافٍ فى المعنى.

القراءة المفيدة، إذن، تبدأ باستبعاد ما يحولُ دون الوقوف على الرؤية المتضمنة فى النص المقروء كاملةً غير مجتزأة، وتنتهى إلى تكوين معرفةٍ كافيةٍ بمحتواه ودلالاته وهل يُقدّم إسهاماً جديداً من عدمه. وبمقدار ما

يكونُ عقلِي مفتوحًا، تكونُ معرفتي بالنص كافيةً لأن
تُضيف إلى رصيدي المعرفي.

فالهدف من القراءة، كما أراه الآن بعد تجربةٍ طويلة،
ليس إصدار أحكامٍ بل تحقيق التراكم المعرفي.